

## الهوية الوطنية ومخاطر العولمة

### National identity and the dangers of globalization

د/ حملاوي مهتور

جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة

mehtour.hamlaoui@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2022/03/04 تاريخ القبول: 2022/06/05

#### الملخص:

هدفت هذه الدراسة إلى التحذير من مخاطر العولمة على الهوية الوطنية للشعوب العربية الإسلامية، فقد أصبحت العولمة فضاء عالميا تهيمن عليه الثقافة الغربية، وتتحول فيه الهوية الثقافية من إطارها القومي الخاص لتندمج وتتفاعل مع غيرها من الهويات الأخرى، ولأن المجتمع العربي الإسلامي قد كان وما زال، وسيظل مستهدفا في لغته، ودينه، وثقافته، وأمن مجتمعاته واستقرارها، فإن هويته ستظل ومن دون شك عرضة لخطر الاهتزاز والتمزق والضياع، ولذلك ينبغي التفكير بجديّة في سبل مواجهة مخاطر العولمة.

ويقودنا البحث في النهاية إلى التأكيد على ضرورة مواجهة العولمة، باعتبارها أمرا مفروضا خارجا عن إرادة الشعوب والدول، ولذلك فمن العيب التفكير في الرفض المطلق لها أو مقاطعتها، ومن الحكمة الحرص على توخي الحذر في التعامل معها، ومحاولة تحريّ إيجابياتها، تلك التي تنسجم مع خصوصيات المجتمع العربي الإسلامي.

**الكلمات المفتاحية:** الهوية الوطنية؛ المخاطر؛ العولمة؛ الثقافة؛ الخصوصيات.

#### Abstract:

This study aimed to warn of the dangers of globalization on the national identity of the Arab and Islamic peoples, as globalization has become a global space dominated by Western culture, in which the cultural identity is transformed from its own national framework to merge and interact with other other identities, and because the Arab Islamic society was, is, and will continue to be. Targeted in its language, religion, culture, and the security and stability of its societies, its identity will undoubtedly remain at risk of vibration, rupture and loss. Therefore, it is necessary to think seriously about ways to confront the dangers of globalization.

Finally, the research leads us to emphasize the need to confront globalization, as it is an imposed matter outside the will of peoples and countries, and therefore it is absurd to think about the absolute rejection or boycott of it, and it is wise to be careful in dealing with it, and trying to investigate its positives, those that are consistent with the peculiarities of society Islamic Arab.

**Keywords:** national identity; the dangers; globalization; the culture; idiosyncrasies.

#### مقدمة:

يعتبر مفهوم الهوية من أهم المفاهيم، وأدقها، وأعمقها، وأشملها، وأوثقها صلة بحياة الإنسان فردا وجماعة، وهو مفهوم إنساني خالص، وإذا كانت الهوية تعبر عن الثبات بالنسبة للإنسان؛ فإن هذا الأخير يعيش في عالم متغير وغير مستقر، وخاصة في عصرنا هذا، الذي برزت فيه العولمة لتبسط نفوذها وسيطرتها على العالم، وأصبحت الهوية بذلك كيانا مستهدفا قد يتعرض للتشويه، والتفكك، والتمزق والضياع، ولذلك كان الحفاظ على الهوية مطلبا فرديا وجماعيا.

ولأننا نعيش اليوم في عالم يتجاوزه تياران، وهما تيار العولمة، وتيار الحرص على الهوية الوطنية فقد أصبح موضوع الهوية، وسؤال الهوية يطرح باستمرار من طرف الساسة، والكتاب، والمثقفين والتربويين، والإعلاميين، وعلماء الاجتماع، وقادة الرأي العام، والحقوقيين، وغيرهم؛ حتى غدت إشكالية البحث عن الهوية من أهم الإشكاليات المعاصرة التي تشغل الدوائر العلمية والثقافية، ولعلها أكثر حدة في بلدان العالم الثالث؛ المهوممة بقضايا الحداثة والصراع بين القديم والجديد، والأصيل والوافد، والمهددة بشبح العولمة؛ التي هي بمثابة الصيغة الجديدة للاستعمار في عالمنا المعاصر، وإذا كانت العولمة قد طردت كل الهويات الوطنية، ولاحتقتها، وحاصرتها، وهددتها، فإن ثقافة الهوية قد ظلت تقاوم، وتعاود وترفض الذوبان، والاضمحلال والتلاشي في الفضاء العولمي الجديد، وأكدت إصرارها على طلب الثبات والاستقرار، والتشبث بالديمومة والاستمرار.

فبالنسبة للإنسان هناك دائما شعور بالارتباط بأرض، ووطن، وتاريخ، وثقافة مشتركة تعبر عن هويته؛ وهو يقضي حياته باحثا عن ذاته وهويته، ويؤمن بأن العمل على تحقيقها هو في صميمه رسالة وأن مشروعها هو مشروع وجوده الأصيل، ولسوء حظ هذا الوجود فإنه مهدد بالضياح والتلاشي؛ لأن رياح العولمة القوية التي تهب من كل الجهات أضحت تشكل خطرا على شعوب ودول العالم، والدول العربية الإسلامية منها على وجه الخصوص، وهي تكتسح وتجرف كل من يتجاهلها أو يعترضها وهو مغمض العينين، وهنا يصبح الحديث عن الهوية في علاقتها بالعولمة أمرا مهما بل وضروريا، لأن القضية تتعلق بكينونة الإنسان وأصله وتاريخه، وضمن هذا الإطار يأتي بحثنا هذا، والذي نسعى من خلاله إلى التعريف بالهوية الوطنية والعولمة، والتنبيه إلى مخاطر هذه الأخيرة على الهوية الوطنية للشعوب العربية الإسلامية، وهذا عبر إثارتنا لجملة من التساؤلات الهامة والمحورية، وعلى رأسها: ما مفهوم الهوية؟ ما مفهوم الهوية الوطنية؟ وما هي مقوماتها؟ ما مفهوم العولمة؟ وما هي مخاطرها على الهوية الوطنية؟ وما هي سبل مواجهة هذه المخاطر؟ وهل للعولمة إيجابيات يمكن الإستفادة منها؟

ولكي نجيب عن هذه الأسئلة وغيرها عملنا على توظيف جملة من المناهج، تلك التي اقتضتها طبيعة الموضوع، ويأتي المنهج التحليلي في مقدمتها، بالإضافة إلى المنهج المقارن، والمنهج التاريخي والتمسنا خطة تستجيب لمساعنا المنهجي، وقد اشتملت هذه الخطة على مقدمة وخمسة عناصر، وخاتمة حيث مهدنا في المقدمة للموضوع، وعملنا على ضبط إشكاليته، وحددنا الهدف منه، وأتينا على ذكر المناهج المستخدمة فيه، أما العنصر الأول فنتناول فيه مفهوم الهوية، ونتطرق في الثاني إلى مفهوم الهوية الوطنية، ونستعرض في العنصر الثالث مقومات الهوية الوطنية، ونعالج في العنصر الرابع مفهوم العولمة، وناقش في العنصر الخامس والأخير مسألة مخاطر العولمة على الهوية الوطنية، وسبل مواجهتها، وننهي بحثنا بخاتمة تتضمن أهم النتائج المتوصل إليها، وهذا على النحو الآتي:

#### أولا: مفهوم الهوية

**1- التعريف اللغوي:** عبارة "هُويّة" من أصل لاتيني، وهي كلمة تحيلنا على الشبيه والمماثل، وتعارض ما هو مختلف ومتنوع، وهذا يعني أن الغيرية هي شرط ابيستيمولوجي في تصور الهوية وتحققها أو وجودها<sup>1</sup>. وهذا هو المعنى الذي تشير إليه المعاجم والقواميس الغربية في مصطلح "Identité" و "Identity"<sup>2</sup>.

أما بشأن معنى الهوية في اللغة العربية فقد جاء في لسان العرب: "إذا عرستم فاجتنبوا "هُوي" وهي جمع هوة، وهي الحفرة والمطمئن من الأرض"<sup>3</sup>، وهنا يتضح لنا بأن التعريف اللغوي لمصطلح الهوية يطلعنا على ثبات معناها، ومن هنا جاز لنا القول أن الهوية هي ما يسكن الإنسان إليه ويطمئن ويشعر من خلاله بالأمن والاطمئنان والتميز عن الآخرين، وأن هذا الشيء يخصه وحده ولا أحد يشاركه فيه<sup>4</sup>.

والجدير بالذكر هنا أن مفهوم الهوية يتداخل مع مفهوم الماهية، فالهوية لغويا أن يكون الشيء هو وليس غيره، وهو قائم على التطابق أو الاتساق في المنطق، والماهية أن يكون الشيء "ماهو" بزيادة حرف الصلة "ما" على الضمير المنفصل "هو"، والمعنى واحد. وقد يجعل البعض الماهية أكثر عمقا من "الهوية"، وفي اللغات الأجنبية لكل لفظ منفصل ماهية "Essence" من اللاتينية "Esse"، وهو فعل الكينونة ولفظ "هوية" "Identité" من الضمير "Id" أي هو<sup>5</sup>. وتطلق الماهية غالبا على الأمر المتعقل مثل المتعقل من الإنسان، وهو الحيوان الناطق مع قطع النظر عن الوجود الخارجي، والأمر المتعقل من حيث إنه مقول في جواب ما هو يسمى ماهية، ومن حيث ثبوته في الخارج يسمى حقيقة، ومن حيث امتيازته عن الأغيار هوية، ومن حيث حمل اللوازم له ذاتا ومن حيث يستتبط من اللفظ مدلولاً، ومن حيث إنه محل الحوادث جوهر<sup>6</sup>.

## 2. المفهوم الإصطلاحي :

مصطلح "الهوية" لفظ تراثي قديم، ومعناه أن يكون الشيء هو هو، مما يدل على ثبات الهوية<sup>7</sup> ويؤكد هذا تعريف الجرجاني للهوية في "التعريفات" مثلا على أنها: "الحقيقة المطلقة، المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق"<sup>8</sup>، وقد تعددت تعاريف الهوية بتعدد العلوم التي تبحث في موضوع الهوية، ومن هذه العلوم الفلسفة، علم النفس، علم الاجتماع، وعلى الرغم من تعدد التعاريف وتنوعها؛ فإننا نجد تقاربا في المفهوم الذي تتبناه مختلف العلوم للهوية؛ ففي الفلسفة مثلا تعني الهوية: "حقيقة الشيء من حيث تميزه عن غيره وتسمى أيضا وحدة الذات"<sup>9</sup>، ومبدأ الهوية هو القول: ما هو هو، وهو المثل الأعلى للحكم التحليلي لأن المحمول في هذا الحكم ليس جزءا من مفهوم الموضوع وإنما هو عين الموضوع نفسه، ومن شرط الضرورة المنطقية التي يعبر عنها مبدأ الهوية:

- 1- أن يكون المعنى المتصور محددًا وثابتًا، فلا يتغير بحال.
- 2- أن يكون الحق حقا والباطل باطلا دائما وفي مختلف الأحوال، فلا يتغيران بتغير الزمان والمكان.
- 3- أن يكون الموجود بالحقيقة هو عين ذاته فلا يتغير، ولا يختلط به غيره. وهذا لا يصدق في الحقيقة إلا على الموجود المثالي الذي ينتج إليه العقل، دون التمكن من تحقيقه تحقيقا كاملا<sup>10</sup>، أما في علم النفس فتعرف الهوية على أنها: "كون الشيء نفسه أو مثيله من كل الوجوه، الاستمرار والثبات وعدم التغير"<sup>11</sup>، ولا يبتعد مفهوم الهوية في علم الاجتماع كثيرا عن مفهومها الفلسفي والنفسي، فالهوية من المنظور الاجتماعي تعني: "عملية تمييز الفرد لنفسه عن غيره، أي تحديد حالته الشخصية"<sup>12</sup>.

وهنا يتضح لنا بأن التعاريف السابقة تتفق جميعا في أهم شيء في تعريف الهوية؛ ألا وهو الخصوصية والتميز عن الغير<sup>13</sup>؛ على أن النقاش والجدل كثيرا ما يشتد ويحتدم عند أصحاب الأفكار والمذاهب والتوجهات السياسية والفكرية المختلفة، ليس حول المفهوم العام للهوية، وإنما حول عناصرها ومكوناتها، وأهمية هذه العناصر وأولويتها<sup>14</sup>.

## ثانيا: مفهوم الهوية الوطنية

إذا كانت الهوية الفردية تعتمد أساسا على المميزات الجسدية التي تميز كل كائن بشري عن الآخر من بين ملايين البشر في المعمورة، وأبرز مثال على ذلك بصمات الأصابع التي تحدد أو تثبت هذا الاختلاف عمليا؛ فإن الهوية الوطنية ترتبط بالوطن الذي ينطلق من الأرض، أي من المكان وما يرتبط به من زمان يعكس تاريخه، ليشمل مختلف العناصر الطبيعية والبشرية، وما ينشأ عنها من أوضاع سياسية واقتصادية، واجتماعية، وتشير الهوية الوطنية إلى جملة الخصائص والسمات التي تميز هذا المجتمع عن ذلك، وهي تشكل وحدة متكاملة ومتماسكة؛ يشعر الشخص من خلالها بالولاء والانتماء لوطنه وأرضه ويمكن تعريف الهوية الوطنية إجرائيا

على أنها مجموعة من الصفات أو السمات الثقافية العامة التي تمثل الحد الأدنى المشترك بين جميع الأفراد الذين ينتمون إليها والتي تجعلهم يعرفون ويتميزون بصفاتهم تلك عما سواهم من أفراد الأمم الأخرى<sup>15</sup>.

والثقافة الوطنية أو القومية في عمومياتها؛ هي البصمات التي تجعل أفراد هذه الأمة أو تلك يتميزون بهويتهم الجماعية عن غيرهم من الشعوب والأمم، وهذا ما يجيز القول بأنه قد يوجد في العالم جنسيات "ورقية" أو أعلام أو عملات... كما توجد جنسيات وأعلام ورموز دولة بدون شعوب وأمم ذات هوية محددة معروفة ببصماتها الثابتة الراسخة، فالحالة الأولى كان يمثلها الشعب الجزائري قبل حصوله على الاستقلال "أوراق" الجنسية سنة 1962، وما يزال يمثلها العديد من الشعوب المكافحة من أجل إثبات وجودها الحقيقي في العالم، وفي مقدمتها الشعب الفلسطيني، والشعب البوسني، والشعب الشيشاني والحالة الثانية تنطبق على كل الشعوب التي حصلت (بالكفاح أو المراسلة) على استقلال الجنسية الورقية دون استقلال مقومات الهوية في جوهرها الثقافي الذي يميزها عن هوية المحتل السابق، وفي مقدمة ذلك تأتي العقيدة الدينية واللغة، ومن هذا المنطلق فإن عبارة "الاستقلال" المظلومة جدا في بعض البلاد أو بعض الأطراف التي لا تعرف معناها الحقيقي... يمكن تقسيمه إلى ثلاث درجات أو أنواع:

- 1- استقلال الجنسية دون الهوية (وضع بعض البلدان التابعة ثقافيا وخاصة لغويا لمستعمرها السابق).
- 2- استقلال الهوية دون الجنسية (وضع الجزائر قبل 1962، وجزء من فلسطين حاليا).
- 3- استقلال الهوية والجنسية معا (وضع كل الأمم المعتمدة في العالم)، وفي مقدمتها الصين واليابان وألمانيا وكوريا والفيتنام<sup>16</sup>.

### ثالثا: مقومات الهوية الوطنية

وهي تشير إلى جملة العناصر الثقافية، التي تسمح بالتعرف على الانتماء الثقافي لشخص ما، أو لمجموعة بشرية معينة، ضمن ما يسمى بالتراث الثقافي، والذي يشمل اللغة والدين والتاريخ المشترك.

**1- الدين:** عندما نتكلم عن الدين فإننا نعني به تلك الظاهرة الكونية؛ التي تستحوذ على التفكير والوعي الإنساني وترافقه في مسيرته الحضارية، وهذه حقيقة أدركها، وأكدها المفكر الجزائري مالك بن نبي من خلال تحليله لظاهرة الدين في كتابه الظاهرة القرآنية، حيث نجده يقول في ذلك: "كلما أوغل المرء في الماضي التاريخي للإنسان، في الأحقاب الزاهرة لحضارته، وفي المراحل البدائية لتطوره الاجتماعي وجد سطورا من الفكرة الدينية"<sup>17</sup>.

وقد تعددت تعاريف الدين لدى العلماء، والمفكرين، ورجال الدين، ويعود ذلك أساسا إلى تعدد الديانات، وتشعبها، وتعقدها، وتباين المشاعر التي تتركها لدى الشعوب التي تدين بها، وينبغي التأكيد هنا على أن مفهوم الدين في الأوساط الثقافية الغربية يختلف عن مفهومه في الأوساط الثقافية العربية الإسلامية، فالدين في الثقافة الغربية يتميز بتعدد مفاهيمه؛ فهناك المفهوم النفسي، والمفهوم الفلسفي والمفهوم الاجتماعي للدين، وعلى الرغم من ذلك فإن هذه المفاهيم تشير في أغلبها إلى الاعتراف والتبعية والإذعان المطلق لقوة سامية لا متناهية زمانيا ومكانيا<sup>18</sup>.

أما في الثقافة الإسلامية فقد اشتهر الدين لدى علماء المسلمين على أنه "وضع إلهي يرشد إلى الحق في الإعتقادات، وإلى الخير في السلوك والمعاملات"، وبأنه "وضع إلهي، سائق لذوي العقول السليمة باختيارهم إلى الصلاح في الحال، والفلاح في المآل"، ويكشف لنا هذا التعريف الإسلامي للدين عن ثلاثة أمور جوهرية، أولها أن الدين وضع إلهي وليس من إحياء النفس، أو تخيل العقل، أو تنظيم الإنسان وثانيها أنه عقيدة وشريعة، أو عقيدة ونظام في الحياة، فهو ليس مجرد اعتقاد، بل هو الإعتقاد الحق والإيمان الصحيح الذي لا يشوبه شيء وهو ليس مجرد شريعة ونظام فحسب، بل هو نظام رباني وشريعة إلهية لضمان الفوز والفلاح في الدنيا

والآخرة، وثالثها أن هناك ربط بين العقيدة والعقل وأن الدين متفق تماما مع العقل السليم، وأنه لا منافاة ولا تناقض بين الدين والعقل، خلافا لكثير من علماء الاجتماع والفلسفة والاديان الذين يتعمدون الفصل بين الدين والعقل، أو الدين والعلم، وأن الدين محصور بالأمور الغيبية، أو بما وراء الطبيعة، وأنه لا شأن للدين والعقيدة في نطاق الحياة<sup>19</sup>.

والمقصود بالدين عند المسلمين هو دين الإسلام، وهذا ما أشارت إليه العديد من آيات القرآن الكريم<sup>20</sup>. وللدين في الثقافة الإسلامية مصدرا واحدا، وهو الله عز وجل، وهو يقتضي الإيمان بكل الأنبياء والرسول، وأن آخرهم محمد ﷺ الذي لا رسول بعده، ولذلك نجد بأن الدين عند المسلمين يقصد به أيضا ذلك الوضع الإلهي الذي يسوق أصحاب العقول إلى قبول ما هو عند الرسول ﷺ<sup>21</sup>.

ولا توجد أمة ليس لها دين بمعنى من المعاني؛ فالعقائد دين والطقوس دين، وتصور الحياة ورؤية الاجتماع وأوجه الحياة المختلفة غالبا ما تخضع لمنظور ديني سواء كان مصدره السماء أم الأرض والإلحاد في حد ذاته دين لأنه يضع تفسيراً للحياة ويضع آليات لعيشها، وإن لم يكن دينا منزلا<sup>22</sup>. ولا أحد بإمكانه أن ينكر بأن الدين هو الطاقة والقوة الخلاقة التي تنتج للمجتمع الإنساني فرصة التقدم والنهوض وبأنه جوهر الإنسان، ومصدر القوة الروحية التي تُقوي إيمانه وتُثري عقله وروحه، وبأنه روح الحضارة ومحركها، ولذلك فلا غرابة في القول بأنه لا يمكن لأمة من الأمم أن تُقلع حضاريا إلا إذا كان منطلقها وأساسها الذي تبنى عليه أساسا دينيا؛ والدين عند المسلمين هو سرّ تألقهم وتفوقهم، وهو روح حضارتهم فعندما تمسك المسلمون بدينهم أصبحوا علماء الكون وأئمة العالم، وعندما أصابهم مرض الجهل بدينهم تراجعوا وانهزموا وأصبحوا فريسة سهلة المنال لأعدائهم<sup>23</sup>.

إن حضارة الأمم تبنى وتتجدد، ولا يمكن للبناء أن يسمو عاليا إلا إذا كان الأساس متينا، فإذا كان الأساس هشاً سقط البناء وتهاوى، وعلى الرغم من كون الدين أساسا قويا ومتينا؛ فإن الكثير من جهلة المسلمين ومقلديهم استجابوا لنداءات التنفير من العصبية الدينية؛ فانقضوا على الرابطة الدينية يمزقونها دون أن يجدوا بديلا لها؛ فصار حال المسلمين بذلك كحال من يهدم بيتا لكي يستبدله بآخر، ولكنه لم يجد هذا الآخر فوجد نفسه في العراء<sup>24</sup>. إن للدين تأثير كبير على معتقديه بشرائعه المكيفة لكل النظم التي تتحكم في سير الوطن، وما يترتب عليها من أفكار، ومفاهيم، وتصورات، ومبادئ بها يهتدي المواطنون ويقيسون كل شؤون حياتهم.

وبالنسبة للمجتمع الجزائري كان الإسلام وسيظل أساسا لوحده وهويته، حيث تتشكل هذه الأخيرة تدريجيا في ظل علاقات اجتماعية وثقافية متشابكة ومتداخلة؛ فهي ليست مجرد شعور خاص بهذا الشخص أو ذلك، وإنما هي جهاز انتماء<sup>25</sup>، فهوية الجزائري لم تتشكل دفعة واحدة؛ فالإنسان الجزائري الأمازيغي انفتح على الإسلام ليدير من خلال اتصاله وتواصله معه أنه جوهر هويته، فاقتنع بضرورة اعتناقه، وأمن بضرورة الدفاع عنه، واعترف به كقوم ثابت من مقومات هويته<sup>26</sup>. وحتى الكاهنة وهي القائدة الأمازيغية التي وقفت في وجه المسلمين الفاتحين عندما اكتشفت حقيقة الإسلام أرسلت بولديها لإعلان إسلامهما والنطق بالشهادتين، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وبفضل الشهادتين أصبح الإسلام أكبر مقوم يجمع المسلمين على اختلاف ألوانهم ولغاتهم وأماكن تواجدهم، وبفضل العربية وهي لغة القرآن الكريم أصبح المسلم عربيا على الرغم من أن نسبه ليس عربيا، وليس من الضروري في نظر الإسلام أن يكون المسلم عربيا<sup>27</sup>. فالإسلام هو الرابطة التي تعبر عن هوية الشعب الجزائري فمنذ دخول الإسلام إلى الجزائر تشكل مجتمع جزائري عربي إسلامي بعد أن انصهر العنصر الأمازيغي مع العنصر العربي المسلم الذي دخل الجزائر فاتحا، وقد تمكن الدين الإسلامي من الصمود في وجه كل الإيديولوجيات التي جاء بها المستعمر الفرنسي.

**2- اللغة:** تعتبر اللغة عنصرا أساسيا في تكوين الشخصية الوطنية، فاللغة هي رمز السيادة الوطنية، وعلى حد تعبير مولود قاسم نايت بلقاسم فإن اللغة هي: "تلك الصورة التي تعطي محتواها لونا وشكلا وقوما، فهي المحملة بتلك العناصر المكونة للذاتية، للشخصية القومية، فهي ذلك التيار الذي يبعث الروح في جميع أركان الكيان الوطني، وذلك الإسمنت الذي يضمن وحدة البنين القومي، والذي بدون تلاحمه لا يمكن أن يكون أي كيان لأمة من الأمم"<sup>28</sup>. إن اللغة باعتبارها وسيلة تواصل ووعاء فكر وأداة تعبير عن الإبداع الأدبي والفني، والكشف عن المشاعر والأحاسيس، تعتبر إحدى وسائل حماية الهوية والثقافة الوطنية، فالثقافة روح، واللغة جسد، ولا يمكن استغناء أحدهما عن الآخر<sup>29</sup>.

إن اللغة بمنزلة مكن القلب والروح للأمة، ولذلك يترتب على كل أمة أن تتمسك بلغتها الخاصة تمسكها بحياتها، والتمسك باللغة يجب أن يعتبر واجبا وحقا في وقت واحد، وينبغي للدول التي ترعى شؤون الشعوب أن تحترم هذا الحق، فلا تحاول منع شعب من الشعوب من استعمال هذا الحق والتمسك بلغته الخاصة<sup>30</sup>. إن اللغة هي القالب الذي تصاغ فيه جميع الأفكار والأحاسيس التي تشكل الكيان والشحنة المعنوية لأفراد الشعب، فاللغة على حد تعبير المفكر الألماني هردير (Herder) "بمنزلة الوعاء الذي تتشكل فيه، وتنقل بواسطته أفكار الشعب"<sup>31</sup>.

إن الذي يفقد لغته يضيع ويتلاشى، وينتهي به الأمر إلى الذوبان، ذلك أن اللغة هي القوة الطبيعية الأولى لأمة ما، فهي صدى روحها وأصالتها، وهي لسان شخصيتها والحفاظ على تراثها. والضامنة لاستمرارها الروحي، والرابطة بين أجيالها إلى آخر الأيام<sup>32</sup>.

**3- التاريخ:** التاريخ عصب الأمة، فهو يسرد لنا ما خلفه الأسلاف من أفكار ومعتقدات، وهو الذي يصنع المستقبل من خلال معرفة الحقائق التاريخية، وبناء استراتيجية متينة تؤكد الانسجام الجمعي في أفضل صورته فالوحدة التاريخية هي التي تعزز الوحدة الوطنية، وتمثل الروح الجماعية للأمة، كما أن التاريخ هو وحده الكفيل بحب الوطن.

إن الهوية الوطنية لا تتحقق إلا من خلال مقومات وقيم ثابتة، بحكم التشبث المتواصل بها عبر العصور والأجيال بحب صادق، وبروابط فكرية ونفسية تشد هذه الأجيال، وتجعل الكل يتفاعل معها بإدراك عميق وحتى بدون أي بعفوية وتلقائية، وهي في ثباتها أي في ثبات عناصرها الجوهرية ومكوناتها الأساسية؛ قد تتعرض لبعض عوامل التغيير الذي تفرضه طبيعة الواقع المتعدد والمتنوع، ويفرضه تفاعل الذات مع نفسها ومع الآخر، مما يحقق البعد الإنساني الذي لا شك يغني تجارب الهوية، ويتيح لها مجالات حيوية خلاقة تقوي فيها دوافع التفتح والانفتاح، وإمكانات تبادل التأثير والتأثير. والهوية هي التي تحث المتمسكين بها على بناء الوطن وتنميته، والعمل على تقدمه، والذود عنه وحفظ كرامته، وفتح آفاق مستقبله، وتجاوز الإكراهات التي تعترضه، ومواجهة العراقيل التي يصادفها في مسيره، والتصدي للأخطار الداخلية والخارجية التي تهدده.

وتكشف لنا حقائق التاريخ أن الهوية فهم، ووعي، وتواصل، وفعل، وأداء، وهي خارج هذا لا يكون لها معنى؛ لأنها تصبح بابا مفتوحا لكل إقصاء وتهميش وانغلاق؛ فالشبيه أو المثل يعني الانغلاق والجمود<sup>33</sup>. فهوية الإنسان لا تتحقق على المستوى النظري فقط؛ لأنها حينئذ تصبح مجرد وهم، وإنما هي تتحقق واقعا بفضل المبادرة والأداء والممارسة، ولعل جدلية السيد والعبد عند هيغل تبرز لنا ذلك الانفتاح على الآخر والتواصل والصراع معه، والذي بواسطته ينتزع الإنسان هويته، فالبشر الأحرار يكتسبون هويتهم؛ لأنهم قادرون على مواجهة الموت والمخاطرة بحياتهم؛ في حين أن الآخرين بسبب انقيادهم إلى الحياة يقع نسيانهم في اللامبالاة<sup>34</sup>. والهوية بدون انفتاح على الآخر تصبح مريضة، وهذا من جراء انغلاقها وانكماشها حول ذاتها وتكرها للآخر ورفضها له، والتاريخ يثبت الخاصية الحركية والديناميكية للهوية، والتي هي في الحقيقة مكسب واقعي

لكل انتماء، فالعروبة مثلا بما هي عنصر لتفكيرنا لا يمكن أن تعرف فقط بوحدة الهوية الوظيفية والأصلية، بل هي أيضا نتيجة التاريخ وصناعة الوعي بوحده وتكامله من ناحية، وبقدرته على التحول والتكيف والتغير من ناحية ثانية؛ إن أخذ التاريخ في الاعتبار بصفته سيرورة، هو العنصر الرئيس لكل صورة عن الهوية سواء كانت فردية أو جماعية<sup>35</sup>.

فالهوية تتشكل تدريجيا عبر التاريخ، ومن طبيعة مسيرة التاريخ البشري أنها لا تتوقف، ومن خصائص الواقع المادي والاجتماعي والثقافي للمجتمعات البشرية؛ أنه في حالة صيرورة وتغير مستمرين ومن هذا المنظور الواقعي والتاريخي يمكن الجزم بأن هوية الشعوب ليست معطى ثابتا، ولا مقولة مطلقة خارج الزمان والمكان، وإنما هي إنجاز وسعي دؤوب للتشديد والبناء، خصوصا في حالة المجتمعات التي لا تزال تعاني الهيمنة الغربية الكاسحة في جميع المجالات<sup>36</sup>.

ويثبت لنا التاريخ أن الإنسان يظل يدافع عن انتماءاته التي يتميز بها عن الآخرين فالجزائري الأمازيغي، وعلى الرغم من اعترافه بالعربية كلغة رسمية، وهذا بحكم إسلامه وإيمانه بأن العربية بالنسبة له حتمية فإنه على الرغم من ذلك ظل يطالب بضرورة أن تكون الأمازيغية لغة رسمية إلى جانب العربية، وهو المطلب الذي تم الاعتراف به مؤخرا.

إن هوية الجماعة تتحدد ولا شك من خلال تاريخها، والمؤكد أن مشاعر الارتباط العاطفي المثالي بالأرض، وبالذاكرة الجماعية والتاريخ، والحنين إلى الماضي والأوطان عموما، إضافة إلى التأثيرات التي تحدثها إيديولوجيات التحرر الوطني، في مراحل مقاومة الاستعمار والاحتلال والهيمنة، قد ساهمت كلها وبشكل كبير في تكوين المضمون الحديث لمفهوم الهوية الوطنية أو الهوية الثقافية، وشحنه بحمولة وجدانية قوية لم تكن مقترنة به من قبل<sup>37</sup>.

ويبقى التاريخ هو المنطلق لتحديد هوية الجماعة، هذا التاريخ الذي يظهر في شكل صيغ مكتوبة أو على شكل تقاليد وأساطير وحكايات، وينطوي تاريخ الجماعة أيضا على الأحداث الفردية والجماعية، وهو ينقل إلينا صور الحياة السياسية وآثارها، ولا يعني هذا أن التاريخ والنشأة هما الوسيلة الوحيدة لرؤية أنفسنا والجماعات التي ننتمي إليها في الوقت نفسه<sup>38</sup>، إذ يمكن للإنسان أن يكون في وقت واحد جزائريا ومواطنا إنجليزيا، وفرنسيا من أصل جزائري، إن الهوية انتماء وحضور وفعل وأداء، إنها تفاعل وفاعلية، تواصل وحركية.

#### رابعاً: مفهوم العولمة

يقصد بلفظ "عولمة" في اللغة الإنجليزية "Globe"، أي كوكب، والمقصود كوكب الأرض، وهو لفظ حديث ومصدره "Globalization" أي كوكبة، أو عولمة... الخ. وهي ترجمة لكلمة «Globality» والتي تعني في الإنجليزية تحويل العالم إلى شكل موحد<sup>39</sup>، أما بالنسبة للغة العربية فقد قاس بعض الباحثين لفظة العولمة على وزن "فوعله"، الذي يعني "قولب" أي تحويل الشيء من وضع إلى وضع آخر وفق نموذج أو قالب محدد، ويبدو أنها لفظة ذات صياغة خاطئة ليس لها وجود في المعجم العربي، وأصلها الصحيح هو لفظة "العالمية"، المشتقة من اسم "العالم" الذي هو على وزن فاعل، وهو ما اتفق عليه في اللسان العربي<sup>40</sup>.

ومن هنا جاءت كلمة العولمة في اللغة العربية كترجمة حديثة لكلمة (Mondialisation) الفرنسية التي تقابل الكلمة الإنجليزية "Globalization" هذه الأخيرة التي وإن تعددت الشروح والتفسيرات التي حاول بها مفكرو العصر من المشتغلين بالفكر السياسي في اتجاهاته الثقافية والاجتماعية فهمها وتفسيرها فإن أجمع شرح وأعرق تفسير لدلالاتها ومضامينها، لا يخرجان في النظر إليها - في دلالاتها اللغوية أو أوالا - على أنها جعل الشيء عالميا؛ أي جعل العالم كله وكأنه في منظومة واحدة متكاملة، وهذا هو المعنى الذي استقر في أذهان المفكرين باللغات الأوروبية عن العولمة<sup>41</sup>.

وقد اهتم الفكر العالمي اهتماما بالغاً بدراسة العولمة، تعريفاً وتقديمها لمعانيها ودلالاتها، وتحليلاً وتفسيراً لمضامينها ومفاهيمها، ودونما حاجة للدخول في عرض تعريفات العولمة، والجدل الدائر حولها<sup>42</sup> يمكن القول أن هناك اتفاقاً كبيراً بين العلماء والمفكرين والباحثين العرب على الأقل. على أن العولمة هي ظاهرة كونية جديدة، ناتجة عن تطور النظام الرأسمالي للحضارة الغربية، وقد أخذت تفرض نفسها على دول العالم، بوصفها عملية ختامية تقرّر حقيقة دمج بلدان العالم الثالث. وفي مقدمتها البلاد العربية الإسلامية. في النظام الرأسمالي الجديد باعتباره منظومة شاملة تتجاوز دائرة الاقتصاد إلى مجالات السياسة والثقافة، والتربية، والفكر وأنماط السلوك الجديدة، وكل ذلك في إطار ثقافة موحدة يراد فرضها وتعميمها على الشعوب والمجتمعات التقليدية، وتدعمها في ذلك إيديولوجية تعبر مباشرة عن إرادة للهيمنة على العالم أو أمركته، بقصد الوصول إلى حضارة عالمية واحدة<sup>43</sup>، وبذلك يصبح العولمي والعالمي هو الأميركي، والمؤكد أن الولايات المتحدة الأمريكية لن تكف عن مواصلة البحث عن التفوق والتوسع والدفاع عن مصالحها الخاصة التي هي في نظرها "مصالح المجتمع العالمي"، وهي تطلق هذه التسمية على مصالحها في محاولة منها لإضفاء الشرعية العالمية على كل الأعمال المعبرة عن مصالحها ومصالح بقية القوى الغربية<sup>44</sup>.

والذي زاد في تقوية النزوع الغربي والأميركي خاصة نحو العالمية، هو سقوط المعسكر الشيوعي وانتصار الليبرالية كونياً؛ فأصبحت الإيديولوجيات الليبرالية الديمقراطية صالحة للتعميم عالمياً، وزادت رغبة الولايات المتحدة الأمريكية في إخضاع الشعوب غير الغربية، وإرغامها على الالتزام بقيم الغرب في كل ما يتعلق بالديمقراطية، والأسواق الحرة، والحكومة المحدودة، وحقوق الإنسان، والفرديانية وحكم القانون، وبضرورة تجسيدها لتلك القيم في مؤسساتها، غير أن ما تعتبره أمريكا عالمية تعتبره الشعوب الخاضعة لهيمنتها استعماراً<sup>45</sup>.

#### خامساً: مخاطر العولمة على الهوية الوطنية وسبل مواجهتها

من الحقائق الثابتة في هذه المرحلة من التاريخ، أن العالم الإسلامي مستهدف في دينه، وثقافته وحضارته، وأمنه، وسيادته، واستقرار مجتمعاته، وتطلعاتها إلى النمو والتقدم والتطور الإيجابي الهادف ومن الحقائق الواضحة والجلية أيضاً أن ثمة تأمراً ضد العالم الإسلامي، وأن المتآمرين عليه تحركهم عصبية دينية وعنصرية، تقوم على تفسيرات وتأويلات مضللة، ومقولات تاريخية باطلة<sup>46</sup>. والملاحظ أن شعوباً كثيرة من العالم الثالث قد أصبحت فخورة بهوياتها الثقافية، ومعتزة بالانتماء إلى ثقافات أخرى غير ثقافة الغرب المهيمنة، ولم تعد تعاني من مركبات النقص التي تفاقمت عندها خلال فترة الاستعمار بل وعلى العكس من ذلك، أصبحت جريئة في المناداة بحقوقها وأن تحترم وأن تعامل بالصورة التي هي عليها<sup>47</sup>.

إن العولمة بصيغتها المفروضة اليوم تشكل خطراً على الهوية الوطنية للشعوب العربية الإسلامية والمؤكد أن أخطر أنواع العولمة هي العولمة الثقافية؛ التي تستهدف زعزعة ثقة الشعوب العربية الإسلامية بدينها ولغتها وثقافتها وتاريخها؛ للقضاء على هويتها الوطنية وطمس معالمها ودمجها في الفضاء العولمي الجديد؛ لتبقى دائماً خاضعة تابعة ومقلدة للأخر الغربي. فالعولمة تستهدف القضاء على اللغة العربية، لأن منظري العولمة يدركون جيداً أهمية اللغة وقيمتها، فاللغة هي قوام الفكر والثقافة والتاريخ، وهي رمز السيادة، ومن هنا يكون القضاء عليها أنسب وسيلة للتحكم في الشعوب وغزوها ثقافياً ولذلك فقد أصبحت لغات العالم كلها مستهدفة من طرف العولمة، وليس من باب المبالغة القول بأن اللغة العربية، التي هي لغة القرآن هي اللغة الأكثر استهدافاً من بين لغات العالم؛ لأن الإسلام كان وسيظل مستهدفاً من طرف أعدائه. وقد أصبحت اللغة الإنجليزية اليوم هي اللغة العالمية الأولى التي تسيطر على جميع اللغات مع الهيمنة الاقتصادية والإعلامية الأمريكية، ومع الانتشار الواسع لشبكة الأنترنت بهذه اللغة تم الترويج لكلمات وعبارات إنجليزية تعبر عن



الثقافة الأمريكية، وهي لا تتسجم دائماً مع قيم الشعوب العربية الإسلامية، وقد ثبت أن استخدام اللغة الإنجليزية هو دائماً في تزايد مستمر، وأن خمس سكان العالم يتكلمون اللغة الإنجليزية، كما أن هناك إلاحاً كبيراً على تعلمها من طرف الكثيرين.

وإلى جانب عولمة اللغة فإن العولمة تسعى إلى عولمة الدين، وهذا عن طريق نشر العقيدة المسيحية في العالم، وهذا ما تهدف إليه الكنائس المسيحية، الكاثوليكية البروتستانتية منها، وتعمل العولمة على الترويج لفكرة أن الإسلام دين رجعي، وأنه دين التخلف والإرهاب والتطرف، وأنه عدو العلم والمدنية وقد تجلّت هذه الفكرة عند المستشرق الفرنسي (Ernest Renan)، وهو واحد من الأسماء اللامعة في عالم الاستشراق، وقد كرس حياته كلها لمبدأ واحد لا يتعداه وهو رأيه القائل بأن الإسلام دين يتناقض مع العلم<sup>48</sup>، وبأنه سبب انحطاط المسلمين، ولقد حمل رينان لواء العداوة لكل ما هو عربي وإسلامي<sup>49</sup>، ولم يتردد في توجيه نقده اللاذع للإسلام في أسلوب أقرب إلى الشتم منه إلى الأكاديمية حيث يقول: "فلدى المسلم احتقار شديد العمق للمعارف، والعلم، ولكل ما يشكل العقل الأوربي"<sup>50</sup>، كما يؤكد رينان بأن العقل الأوربي المنتج والمبدع والفعال هو الذي أنتج الحضارة الغربية المتقدمة، أما الحضارة الإسلامية فقد غرقت في مستنقع التخلف بسبب الإسلام، ولذلك فإن المسلمين في نظر رينان هم الضحايا الأولون للإسلام، وتحريرهم من دينهم هو أفضل الخدمات التي يمكن تقديمها لهم<sup>51</sup>.

وتسعى العولمة إلى سيطرة القيم الغربية الأمريكية على العالم، وسيادة النظام العالمي الواحد لإضعاف القوميات، وصياغة ثقافة عالمية واحدة تضمحل إلى جوارها الخصوصيات الثقافية، فالنمط السائد حالياً هو العولمة الأمريكية، بمعنى أمركة العالم، وسيادة الأيدلوجية الأمريكية على غيرها من الأيدلوجيات<sup>52</sup>. وعلى حد تعبير ريتشارد رورتي (Richard Rorty) فإن العولمة من ابتكار الشعوب الغنية بهدف التستر على مصالحها السياسية، أي أنها تقوم على اجتياح الثقافات الأخرى، وتمكن القوى الكبرى من السيطرة على بقية الدول سيطرة اقتصادية وسياسية وثقافية<sup>53</sup>، وعندما تصبح الثقافة تابعة للعولمة فإنها تصبح خاضعة للنموذج الأمريكي في الحياة؛ كما أنها تنتسعن، أي أنها تصبح خاضعة لقيم السوق وفي هذا تهديد للهوية الثقافي

إن الانفتاح على فضاء العولمة يعني الخضوع للأمركة، والعيش تحت السيطرة الأحادية الأمريكية وإذا كانت الدول التي تنفتح على فضاء العولمة؛ هي دول تسعى إلى تعميق وتطوير سياستها واقتصادها وثقافتها؛ فإنها سرعان ما تكتشف بأن الضرر والشر الذي يصيبها أكبر من الخير الذي تجنيه<sup>54</sup>، ومن هنا كان لزاماً على الدول العربية الإسلامية أن تفكر بجديّة في مواجهة مخاطر العولمة، خاصة وأن تأثير هذه الأخيرة لا يقف عند الاقتصاد فحسب، وإنما يتعداه إلى الثقافة، والتربية، والتعليم، والإعلام والاتصال والعلوم، والتكنولوجيا<sup>55</sup>. فالعولمة لا تعترف بالحوازر أو الحدود الجغرافية والوطنية والأخلاقية، فلم تعد هناك حواجز أمام انتقال المعرفة والتكنولوجيا من أمريكا والدول الغربية إلى الشعوب العربية الإسلامية حيث تحولت هذه الأخيرة إلى سوق استهلاكي لمنتجاتهم، وأفكارهم، وثقافتهم، والتي يحرصون على نشرها والترويج لها بكيفية تدعم سيادتهم الثقافية<sup>56</sup>.

لقد فرضت العولمة نفسها باعتبارها نظاماً أراد القائمون عليه أن يكتسب الصفة الدولية بقوة الهيمنة التي يفرضونها على العالم؛ فأصبحت جزءاً من نظام عالمي تخضع له الشعوب والحكومات، ولا يملك أحد منها أن يقف بمعزل عنه، وإذا كانت الأمة العربية الإسلامية، لا تمتلك القدرات الكافية لمواجهة العولمة في هذه المرحلة التاريخية؛ فإنه ينبغي على الدول العربية الإسلامية على الأقل أن تسعى للتخفيف من حدة آثارها، والتصدي لهجمات، والتقليل من الخسائر الناجمة عن هذا الغزو ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً، لا بالصراع، وإنما بالفهم والاستيعاب، ومحاولة التكيف والاندماج الحذر والمؤثر والفاعل، وهذا الموقف يتطلب منها أن تتخربط في

المعترك الثقافي العالمي، وأن تدفع بمجتمعاتها في اتجاه التفاعل والتجاوب مع المتغيرات المتسارعة، لكي تفهم ما يجري من حولها، وتستوعب التحولات الكبرى التي تعيشها الإنسانية في هذا العصر<sup>57</sup>. فلا مناص من الإقبال الواعي للمجتمعات العربية الإسلامية على الاستفادة من المكتسبات الإيجابية للثقافة الإنسانية العالمية، طلباً للتقدم، لأن الشعوب والأمم تحتاج، وهي تخوض معارك التنمية والتحديث والتطور؛ إلى الأخذ بإيجابيات ومكاسب الثقافة العالمية المغايرة لها<sup>58</sup>.

إن أهم تحدي يطبع واقع العالم العربي الإسلامي اليوم ومن دون شك هو التحدي الثقافي؛ لأن الحفاظ على الهوية الوطنية للشعوب العربية الإسلامية يستوجب الحفاظ على اللغة العربية، والوقوف في وجه محاولات مسخها وتشويهها، وكذا الدفاع عن الدين الإسلامي وتقديمه بالصورة اللائقة به، تلك الصورة الناصعة، التي يظهر فيها الإسلام كدين عالمي يستوعب كل القضايا والمشكلات، وهنا ينبغي التأكيد على أن الخوف من الاستلاب الثقافي، الذي يمكن تشخيص أهم أعراضه في الشعور بالضياع والفقْدان التدريجي للهوية الثقافية، وفي التبعية لثقافة الآخر المهيمنة، هو خوف يكاد يكون عاما وطبيعيا عند سائر الأفراد والجماعات البشرية<sup>59</sup>، وأن التشبث بالهوية الثقافية هو أمر طبيعي أيضا، ولذلك نرى أن التشبث بالهوية الثقافية العربية الإسلامية، أصبح في مجتمعاتنا ظاهرة العصر التي لا يمكن تجاهلها ويمكن القول بأنها ظاهرة تزداد قوة ونضجا أيضا، بدليل أن المواطنين العاديين في الأقطار المنتمية للثقافة العربية الإسلامية، وعلى الرغم مما قد يعانونه أحيانا من بؤس وحرمان في الحقوق والحريات الأساسية، ومن خيبات الأمل التي تعترتهم بسبب فشل محاولات الإصلاح المتكررة، وبسبب الحصار المضروب على ثقافتهم؛ فإنهم يظلون متشبثين بهويتهم رافضين التنازل لها والارتقاء في أحضان اليأس<sup>60</sup>.

وإذا كانت العولمة قد هيمنت وسيطرت وبسطت نفوذها على العالم؛ فهذا لا يعني الاستسلام ورفع الراية البيضاء أمام جبروت الغزو الثقافي التأمري الزاحف علينا المكتسح لأوطاننا، وإنما علينا أن نندمج بحذر في الفضاء الثقافي العالمي، وأن نحرص على المحافظة على هويتنا في ظل العولمة الباسطة نفوذها على المجتمع الدولي، مؤكدة رفضها لفكرة الاعتراف بالهويات الوطنية والخصوصية الثقافية والحضارية للشعوب<sup>61</sup>.

إن على المسلمين مقاومة هذه الهيمنة الجديدة للعولمة بحكمة وفاعلية، وبنظرة مستقبلية استشرافية بعيدة عن الانغلاق والتفوق على الذات؛ لأن الإسلام دين لا يعرف العزلة، فهو دين العلم والحضارة والانفتاح، ولذلك فهو يعترف بالتعددية الثقافية والفكرية، وباختلاف الأمم، وبحق كل أمة في البقاء والمحافظة على خصوصياتها والدفاع عنها، فهو يسعى إلى غرس الاعتزاز بالعقيدة، ويدعو إلى التسامح وعدم التعصب. وعلى المسلمين اليوم أن ينتبهوا لخطر العولمة، ويسعوا لتخليص شعوب الأمة العربية الإسلامية من التقليد والتبعية، ويجتهدوا في إبعادها عن دوامات العولمة؛ على الأقل في جانبها العقدي والثقافي، والقيمي؛ لتظل محافظة على هويتها الوطنية والثقافية.

إن الهوية الثقافية التي تعبر عن الهوية الوطنية هي وقبل كل شيء شعور قوي بالاعتزاز بالانتماء إلى الأرض والتاريخ المشترك، وإلى الوطن الذي يحمي الكرامة ويوفر الإحساس بالأمن والأمان، ويضمن حق التمتع بالعدالة الاجتماعية، وبجميع الحقوق المتعارف عليها عالميا، ويتيح إمكان الاستفادة من المكتسبات الإنسانية المتاحة في عالم اليوم، مع ضرورة عدم الانسياق مع المواقف التي تصنف مكتسبات مثل قيم التنوير والحدثة والديمقراطية، وحقوق الإنسان، ضمن مظاهر الرضا بالهيمنة الثقافية وتسويغ الاستلاب الثقافي<sup>62</sup>. لأن الإسلام دين عالمي كوني، وكتاب القرآن الذي نزل على محمد صلى الله عليه وسلم صالح لكل زمان ومكان، وهو كفيل بتحقيق ما ينسجم مع كرامة الإنسان التي تتجاهلها العولمة.

## خاتمة:

وختاماً يمكننا القول أن الهوية التي تعبّر عن الجوهر، والماهية، والأصل، والحقيقة الثابتة التي لا تتغير ينبغي أن تكون قادرة على الفعل، والأداء، والتفاعل، والتواصل، والاعتراف بالغيرية، والاستعداد للتعايش مع الآخر في ظل الاختلاف والتعدد والتنوع الثقافي؛ من دون إقصاء أو تهميش أو تعصب والشعور باستهداف الهوية، ومحاولة طمس معالمها وتشويهها أو القضاء عليها هو سبب ثورة الأفراد والشعوب والأمم ضد الهيمنة والغطرسة، والصراع القائم اليوم هو صراع لإثبات البقاء والحفاظ على الهوية الوطنية في سياق عولمي متغير، والعولمة هي أمر مفروض خارج عن إرادة الدول والشعوب ولذلك فإنه من العبث التفكير في الرفض المطلق لها أو مقاطعتها، واللجوء إلى التشنق والانغلاق على الذات، و من الحكمة العمل على تحرّي إيجابياتها؛ تلك التي تتسجم مع خصوصيتنا الثقافية، وهويتنا الوطنية والحضارية .

وإنه لا مناص لنا في عصرنا الراهن من اتخاذ موقف واضح من العولمة، وينبغي لهذا الموقف أن يكون موقفاً فاعلاً لا منفعلاً، ولا بد من الانخراط الإيجابي في مواجهتها، ليس بنفيها أو تجاهلها، بل بالعمل على فرض المبادئ والقيم الكونية والعالمية التي جاء بها الإسلام، والمساهمة في فرض عالمية جديدة مغايرة للعالمية الحالية، فلم تكن العولمة كما كان يرجى لها أن تسود في العالم ثقافة إنسانية تناسب كل البشر، وتساعد على تعاونهم وتطورهم، والاستفادة من خيرات بعضهم بعضاً؛ فقد أصبحت مهيمنة بسبب التفوق الغربي على الحضارات الأخرى.

وقد أصبح من الواضح اليوم أن العولمة لا تمثل شبحاً مخيفاً وخطراً كاسحاً ومدمراً، إلا على الشعوب والأمم التي تفتقر إلى ثوابت وقيم وقواعد اجتماعية وثقافية راسخة، أما تلك التي تمتلك رصيماً ثقافياً وحضارياً غنياً، فإنها قادرة على الصمود، والمواجهة، والتحدي، والاحتفاظ بخصوصياتها، والنجاة من مخاطر العولمة وتجاوز سلبياتها، ولذلك فإن على أولي أمر الشعوب العربية الإسلامية؛ ولأجل الحفاظ على الهوية الوطنية لبلدانهم أن يجتهدوا في البحث عن البديل الناجح والمثمر من داخل الثقافة العربية الإسلامية، وأن يؤمنوا بالعالمية الإنسانية الصادقة للإسلام، وبزيف عالمية العولمة، ولا إنسانيتها وخبثها وتضليلها؛ فالإسلام هو الدين الوحيد الذي يستطيع تقديم الحلول الناجحة، وفي وسعه أن يقدم للبشرية كلها ما فيه الخير والسعادة والنجاح.

## قائمة المصادر والمراجع:

- 1- أحمد بن نعمان، الهوية الوطنية الحقائق والمغالطات، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والإشهار، الجزائر، د.ط، د.ت.
- 2- أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، د.ط، 1977م.
- 3- اليكس ميكشيللي، الهوية، ترجمة علي وطفة، دار النشر الفرنسية، دمشق، د.ط، 1993.
- 4- أبو خلدون ساطع الحصري، ماهي القومية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، د.ط، 1985.
- 5- أحمد مجدي حجازي، العولمة وتهميش الثقافة الوطنية، رؤية نقدية من العالم الثالث، عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والآداب، الكويت، العدد 2، المجلد 28، أكتوبر/ ديسمبر 1999م.
- 6- أحمد علي الحاج محمد، العولمة والتربية آفاق مستقبلية، سلسلة كتاب الأمة، إدارة البحوث والدراسات الإسلامية، قطر العدد 145 رمضان 1432هـ.
- 7- برهان غليون، سمير أمين، ثقافة العولمة وعولمة الثقافة، دار الفكر، دمشق، د.ط، 1999.
- 8- جاسم سلطان، التراث وأشكاله الكبرى نحو وعي جديد بأزمتنا الحضارية، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، د.ط، 2015.
- 9- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت- لبنان، 1982.
- 10- هاني الجزار، أزمة الهوية والتعصب، هلا للنشر والتوزيع، مصر، د.ط، 2011.
- 11- حسن حنفي، الهوية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، د.ط، 2012.

- 12- حسن مصطفى حمدان، نشأة الدين (دراسة في علم الاجتماع الديني)، مؤسسة الإسراء للنشر والتوزيع، قسنطينة، ط1 1991.
- 13- محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، ج15، دار صادر، بيروت، دط، دت.
- 14- مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1989.
- 15- مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية. دار الفكر المعاصر، بيروت، دمشق، دط، 1987.
- 16- محمد الزحيلي، وظيفة الدين في الحياة وحاجة الناس إليه، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طبعة خاصة، 1991.
- 17- محمد عبده، الأعمال الكاملة، تحقيق وتقديم محمد عمارة، دار الشروق، بيروت، القاهرة، دط، 1993.
- 18- محمد السيد الجليد، فلسفة التنوير بين المشروع الإسلامي والمشروع التغريبي، دار العلوم، القاهرة، دط، 1999.
- 19- محمد بن عبد الكريم الجزائري، لغة كل أمة روح ثقافتها، دار الشهاب باتنة، الجزائر، دط، دت.
- 20- مولود قاسم نايت بلقاسم، اللغة والشخصية في حياة الأمم، مجلة الأصالة، الجزائر، عدد خاص بالتعريب رقم 18/17، فيفري، 1974.
- 21- مولود قاسم نايت بلقاسم، إنية وأصالة، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، دط، 1975.
- 22- مجدي عبد الحافظ، مناظرة رينان والأفغاني، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، دط، 2005.
- 23- مصطفى يعقوب عبد النبي، المستشرقون وتعصبهم الفاضح ضد العرب والإسلام- أرنست رينان كمثال دراسات استشرافية، 2017.
- 24- عبد الرزاق الداوي، في الثقافة والخطاب عن حرب الثقافات، حوار الهويات الوطنية في زمن العولمة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة- قطر، ط1، 2013.
- 25- عبد العزيز بن عثمان التويجري، العالم الإسلامي في عصر العولمة، دار الشروق، القاهرة، دط، دت.
- 26- فاخر عاقل، معجم علم النفس، دار العلم للملايين، بيروت، دط، 1985.
- 27- فتحي التريكي، الهوية ورهاناتها، ترجمة نور الدين السافي وزهير المدني، الدار المتوسطة للنشر، بيروت، تونس دط، 2010.
- 28- فتحي المسكيني، الهوية والحرية نحو أنوار جديدة، جداول للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، دط، 2011.
- 29- صامويل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، ترجمة طلعت الشايب، ط2، 1999.
- 30- الشريف علي بن محمد الجرجاني(1339-1413م)، المطبعة الخيرية، مصر، ط1، 1306 هـ.
- 31- خليل نوري مسيهر العاني، الهوية الإسلامية في زمن العولمة، ديوان الوقف السني، بغداد، دط، 2009.
- 32- ثائر رحيم كاظم، العولمة والمواطنة والهوية (بحث في تأثير العولمة على الانتماء الوطني والمحلي في المجتمعات) مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، العدد1، المجلد 8، 2009.
- 33- إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي، معجم مصطلحات عصر العولمة
- 34- زهير الخويلدي: الكوني والعالمي والعولمي.

www.kotobarabia.com

http://www.grenc.com/show\_article\_main.cfm?id=11819 25/12/2021

## الهوامش:

- 1- فتحي التريكي، الهوية ورهاناتها، ترجمة نور الدين السافي وزهير المدني، الدار المتوسطة للنشر، بيروت، تونس دط، 2010، ص36.
- 2- حسن حنفي، الهوية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، دط، 2012، ص17.
- 3- محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، دت، ج 15، ص37.
- 4- خليل نوري مسيهر العاني، الهوية الإسلامية في زمن العولمة، ديوان الوقف السني، بغداد، دط، 2009، ص44.
- 5- حسن حنفي، الهوية، مرجع سابق، ص10.
- 6- الجرجاني، التعريفات، مرجع سابق، ص84.
- 7- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

- 8- الشريف علي بن محمد الجرجاني(1339-1413م)، التعريفات، المطبعة الخيرية، مصر، ط1، 1306 هـ، ص113.
- 9- مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، دط، 1989، ص208.
- 10- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت- لبنان، 1982، ج2، ص532.
- 11- فاخر عاقل، معجم علم النفس، دار العلم للملايين، بيروت، 1985، دط، ص55.
- 12- أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، 1977م، ص185.
- 13- خليل نوري مسيهر العاني، الهوية الإسلامية في زمن العولمة، مرجع سابق، ص40، 41.
- 14- المرجع نفسه، ص43.
- 15- أحمد بن نعمان، الهوية الوطنية الحقائق والمغالطات، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والإشهار، الجزائر، دط، دبت ص11.
- 16- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- 17- مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، دار الفكر المعاصر، بيروت، دمشق، دط، 1987، ص69.
- 18- حسن مصطفى حمدان، نشأة الدين (دراسة في علم الاجتماع الديني)، مؤسسة الإسراء للنشر والتوزيع، قسنطينة، ط1 1991، ص20، 21.
- 19- محمد الزحيلي، وظيفة الدين في الحياة وحاجة الناس إليه، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طبعة خاصة، 1991، ص20، 21.
- 20- من هذه الآيات قوله تعالى: (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (آل عمران: 85)، وقوله عز وجل: (لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ) (الكافرون: 6)، أي لكم شريعتكم ومنهاجكم وأسلوبكم في الحياة... الخ، وقوله عز وجل أيضا: (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ) (آل عمران: 19).
- 21- الجرجاني، التعريفات، مرجع سابق، ص47.
- 22- جاسم سلطان، التراث واشكالياته الكبرى نحو وعي جديد بأزمنا الحضارية، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت دط، 2015، ص37.
- 23- محمد عبده، الأعمال الكاملة، تحقيق وتقديم محمد عمارة، دار الشروق، بيروت، القاهرة، دط، 1993، ج3، ص359.
- 24- محمد السيد الجليند، فلسفة التنوير بين المشروع الإسلامي والمشروع التغريبي، دار العلوم، القاهرة، دط، 1999 ص106.
- 25- فتحي المسكيني، الهوية والحرية نحو أنوار جديدة، جداول للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، دط، 2011، ص16.
- 26- اليكس ميكشيللي، الهوية، ترجمة علي وطفة، دار النشر الفرنسية، دمشق، 1993، ص28.
- 27- خليل نوري مسيهر العاني، الهوية الإسلامية في زمن العولمة، مرجع سابق، ص47.
- 28- مولود قاسم نايت بلقاسم، إنية وأصالة، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1975، ص104.
- 29- محمد بن عبد الكريم الجزائري، لغة كل أمة روح ثقافتها، دار الشهاب باتنة، الجزائر، دط، دبت، ص10.
- 30- أبو خلدون ساطع الحصري، ماهي القومية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1985، ص48.
- 31- المرجع نفسه، ص47.
- 32- مولود قاسم نايت بلقاسم، اللغة والشخصية في حياة الأمم، مجلة الأصالة، الجزائر، عدد خاص بالتعريب رقم 17/18، فيفري 1974، ص57.
- 33- فتحي التريكي، الهوية ورهاناتها، مرجع سابق، ص43.
- 34- المرجع نفسه، ص42.
- 35- المرجع نفسه، ص44.
- 36- عبد الرزاق الداوي، في الثقافة والخطاب عن حرب الثقافات، حوار الهويات الوطنية في زمن العولمة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة- قطر، ط1، 2013، ص159.
- 37- المرجع نفسه، ص154.
- 38- خليل نوري مسيهر العاني، الهوية الإسلامية في زمن العولمة، مرجع سابق، ص23، 34.
- 39- أحمد مجدي حجازي، العولمة وتهميش الثقافة الوطنية، رؤية نقدية من العالم الثالث، عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والآداب، الكويت، العدد 2، المجلد 28، أكتوبر/ ديسمبر 1999م، ص128.
- 40- نقلا عن ثائر رحيم كاظم، العولمة والمواطنة والهوية (بحث في تأثير العولمة على الانتماء الوطني والمحلي في المجتمعات) مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، العدد 1، المجلد 8، 2009، ص257.
- 41- عبد العزيز بن عثمان التويجري، العالم الإسلامي في عصر العولمة، دار الشروق، القاهرة، دبت، ص14.

- 42- تباينت تعاريف وآراء ومواقف العلماء والمفكرين والباحثين حول العولمة؛ كما تنوعت سياسات وأساليب القوى العالمية التي تقف خلفها، والأيدي التي تنسج خيوطها، والمبررات التي تطرحها، كما تعددت الجهات التي تروج لها وتدافع عنها وتستفيد منها، وهذا ما جعل من مفهوم العولمة مفهوماً غامضاً يصعب ضبطه. أحمد علي الحاج محمد، العولمة والتربية آفاق مستقبلية، سلسلة كتاب الأمة، إدارة البحوث والدراسات الإسلامية، قطر، العدد 145 رمضان 1432هـ، ص37.
- 43- المرجع نفسه، ص 40
- 44- الغرب مثلاً يحاول أن يجمع اقتصاد المجتمعات غير الغربية في نظام اقتصادي عالمي يسيطر عليه، وعن طريق صندوق النقد الدولي والمؤسسات الاقتصادية الدولية الأخرى ينمي الغرب مصالحه الاقتصادية ويفرض على الدول الأخرى السياسات الاقتصادية التي يراها ملائمة. صامويل هنتجتون: صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، ترجمة طلعت الشايب، سطور، ط2، 1999، ص 294.
- 45- المرجع نفسه، ص293.
- 46- عبد العزيز بن عثمان التويجري، العالم الإسلامي في عصر العولمة، دار الشروق، بيروت، القاهرة، دط، دت، ص 36.
- 47- عبد الرزاق الداوي، في الثقافة والخطاب عن حرب الثقافات، مرجع سابق، ص155.
- 48- تجدر الإشارة هنا إلى أن محمد عبده قد كان متابعاً يقظاً لآراء رينان حول علاقة الإسلام بالعلم، وقد رد عليه مؤكداً بأن الدين والعلم صديقان حميمان لا مجال للقول بتعارضهما أو تصادمهما، كما أن لكل منهما وظيفة التي يؤديها دون أن تتعارض مع الأخرى، وهما حاجتان ضروريتان من حاجات البشر، ولا يمكن لإحدهما أن تقصي الأخرى، أو تلغيها أو تغني عنها. - محمد عبده، الأعمال الكاملة، ج3، دار لشروق، القاهرة، 1993، ص21- وقد بدأ الإسلام مسيرته بالدعوة إلى العلم حيث وجه الله عز وجل خطابه أمراً نبيه ﷺ بقوله: ﴿أَفْرَأَ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ، أَفْرَأَ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (العلق: 1)، وقد امتثل الرسول ﷺ لأمره عز وجل وشرع في نشر دعوة الإسلام بشقيها الدين والعلم، وأشاد بالعلم والعلماء، وحث على البحث والدراسة، ولم تكن دعوته ﷺ للشعر أو البلاغة أو القصص وإنما كانت دعوته إلى العلوم.- عبد الرزاق نوفل، المسلمون والعلم الحديث، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، دط، 1973، ص31، 32.
- 49- مصطفى يعقوب عبد النبي، المستشرقون وتعصبهم الفاضح ضد العرب والإسلام- أرست رينان كمثال، دراسات استشرافية، 2017، ص 92.
- 50- مجدي عبد الحافظ، مناظرة رينان والأفغاني، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، دط، 2005، ص35.
- 51- المرجع نفسه، ص66.
- 52- إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي، معجم مصطلحات عصر العولمة، ص334. [www.kotobarabia.com](http://www.kotobarabia.com)
- 53- زهير الخويلدي: الكوني والعالمي والعولمي.
- [http://www.grenc.com/show\\_article\\_main.cfm?id=11819](http://www.grenc.com/show_article_main.cfm?id=11819) 25/12/2021
- 54- برهان غليون، سمير أمين، ثقافة العولمة وعولمة الثقافة، دار الفكر، دمشق، دط، 1999، ص44.
- 55- عبد العزيز بن عثمان التويجري، العالم الإسلامي في عصر العولمة، مرجع سابق، ص14.
- 56- هاني الجزار، أزمة الهوية والتعصب، هلا للنشر والتوزيع، مصر، دط، 2011، ص73.
- 57- عبد العزيز بن عثمان التويجري، المرجع السابق، ص16.
- 58- عبد الرزاق الداوي، في الثقافة والخطاب عن حرب الثقافات، مرجع سابق، ص159.
- 59- المرجع نفسه، ص156.
- 60- المرجع نفسه، ص 157، 158.
- 61- عبد العزيز بن عثمان التويجري: العالم الإسلامي في عصر العولمة، مرجع سابق، ص 47.
- 62- عبد الرزاق الداوي، في الثقافة والخطاب عن حرب الثقافات، مرجع سابق، ص159.